أفـــراح الأنجـــال

أبهـة المُلك وجلاله

ليالى ألف ليلة وليلة

أفراح أنجال الباشا(*)

تمثل الأفراح لدى المصريين سواء الأغنياء منهم أو الفقراء مكانة هامة تبرز فيها للكثير من العادات الموروثة والمستحدثة، فالبحث عن بنت الحلال التى تسعد زوجها، وتريح قلبه، وتحفظه بحسن تدبيرها، وتكون سترا له فى الدنيا من الأمور التى تهفو إليها القلوب.

وإذا كانت أفراح أنجال الباشاوات تتميز بالبذخ الزائد، والتنافس على تقديم الهدايا الثمينة وانفاق الأموال الكثيرة فان أفراح انجال العامة تتميز بالبساطة ويسودها التقاليد الشعبية التى يطغى عليها ضرب الدفوف والطبل البلدى والمزمار، وذغاريد النساء، ويظهر فيها الجدعان والفتوات من أبناء الحارة، وهم يتبارون بالنبابيت ويلعبون بالجريد والسيوف والرماح وإذا كانت بنات الباشوات يتنقلن إلى بيت الزوجية من خلال مهرجانات ضخمة يتقدمها الفرسان والموسيقات العسكرية، ويتم خلالها توسعه الشوارع التى يسير فيها شوار العروس بعد تنظيفها ورشها بالماء، فان العروس من بنات العامة كانت تحمل فى هودج (تختروان) مغطى بشال كشمير، ومحمل على جملين زينت اعناقهما بقلائد حريرية، وأجراس مختلفة فى رقابها، وكانت الشوارع التى يمر فيها موكب العروس تضاء بالمشاعل والقناديل الصغيرة التى تسير خلفها الفلاحات فى ملابسهن الزرقاء، وهن يصدرن أصواتا تعبر عن فرحهن حتى يتم الوصول إلى منزل العروسين وسط ضجيج وصخب كبيرين.

وإذا كان الذى يحضر حفلات عقد قران أنجال الباشوات أمراء العائلة المالكة ونظار الحكومة وكبار العلماء والأعيان بملابسهم الجديدة الملفتة للنظر، وكان يقدم لهم أفخر المأكولات والمشروبات فان الذى كان يحضر حفلات أنجال العامة هم العمال واصحاب الجلاليب الزرقاء امثال المعلم شلبى، والأسطى حنفى، وزعيط الفلاح وكانوا يجلسون القرفصاء أو على اقفاص من سعف النخيل حيث يتناولون المشروبات الشعبية، ويتعاطى بعضهم الأدخنة والحشيش وهم يستمعون إلى الأمثال العامية وإلى قصص ابو زيد الهلالى وعنتره.

وبينما كان يدعى لاحياء أفراح انجال الباشوات كبار الموسيقيين الذى يدفع لهم المبالغ الطائلة فان انجال العامة كانوا لا يدفعون أجرا للموسيقيين أو المهرجين خاصة إذا كانوا من أصدقائهم ، أو كانت تدفع لهم النقود من الحاضرين الذين جاءوا لدفع النقوط والمساهمة فى تكاليف الفرح.

وبينما كانت الهدايا المقدمة لانجال الباشاوات تمثل صورة من الحياة الطبقية الصارخة، فان هدايا انجال العامة كانت لا تزيد عن السكر والشربات والأرز والشمع والسمن والدجاج والأوز وبينما كانت تنفق المبالغ الطائلة على الأطعمة الفاخرة التى يتناولها ضيوف افراح انجال الباشاوات من صحون المحمر والكباب والكفتة والفاكهة فان ضيوف أفراح انجال العامة كانوا لا يتناولون سوى العدس أو البيسارة او الفول بالاضافة إلى المش والجبن والفجل والمخلل.

وبينما كانت الشوك والملاعق والسكاكين تستخدم فى قصور الباشوات فان العامة كانوا لايعرفون طريقة استخدامها، بل يجلسون القرفصاء على الأرض، ويستعملون ايديهم وأصابعهم حيث كانت أسهل عليهم من استعمال أشياء لا يحسنون استخدامها.

أفراح انجال الخديو إسماعيل:

وتعد أفراح انجال الخديو إسماعيل من الأفراح القليلة التى ما زالت أصداء لياليها الباهرة تتردد فى أذهان المصريين نظرا لما عاشته مصر خلال أيامها الأربعين من احتفالات فخمة، وإسراف اسطورى لم تر مثله فى عصرها الحديث، والتى ذكرت الناس بليالى ألف ليلة وليلة، وباحتفالات قطر الندى ابنة "خمارويه" أمير مصر الطولونية بالخليفة العباسى "المعتضد" فقد تشابهت ليالى أفراح انجال الباشا مع هذه الأفراح، من حيث البذخ الشديد، وإقامة الزينات الفخمة وإعداد المواكب التى تعزف الجوقات الموسيقية الرائعة.

ففى حفل مهيب عقد الخديو إسماعيل قران أولاده الثلاثة، واحدى بناته فى وقت واحد، إذ عقد لولى عهده "محمد توفيق" على الأميرة "امينة هانم" بنت الهامى باشا ابن عباس الأول والتى

(*) نشرت هذه الدراسة بمجلة الهلال فى عدد سبتمبر ٢٠٠٢.

عرفت فيما بعد بأم المحسنين وللأمير "حسين" والذى عرف فيما بعد بالسلطان حسين كامل والذى نصبه الانجليز سلطانا على مصر على الأميرة "عين الحياة هانم" بنت الأمير أحمد رفعت ابن ابراهيم باشا نجل محمد على الكبير، وللأمير "حسن" ثالث انجاله على "خديجة هانم" بنت الأمير محمد على وحفيده محمد على باشا مؤسس مصر الحديثة، كما زوج الخديوى ابنته الأميرة فاطمة الزهراء صاحبة اليد الطولى فى إنشاء الجامعة المصرية للأمير طوسون نجل محمد سعيد باشا ابن محمد على.

وقد بدأت أفراح الأنجال فى ١٥ يناير ١٨٧٣ واستمرت أربعين يوما كاملة باعتبار عشرة أيام لكل فرح منها، وقد اقيمت هذه الأفراح امام القصر العالى الذى كان تقيم فيه والده الخديوى وفى أرض قشلاق حرس القصر وحديقته والتى اطلق عليها بعد ذلك اسم المنيرة نظرا لاضاءتها بالأنوار طوال الأربعين ليلة، كما أصدر الخديوى إسماعيل أمرا بأن يطلق اسم افراح الأنجال على احد شوارع هذا الحى احتفالا بهذه المناسبة، وكرمز لاعظم فرح ارتدت فيه القاهرة أجمل ما لديها من حلى. كما فاقت مظاهر الاسراف والبذخ الوصف ما جعلها موضع أحاديث الناس فقد انفق الخديوى على هذه الأفراح وكما ورد فى الوثائق الرسمية مبلغ عشرة ملايين جنيه وسبعمائة وثلاثة وأربعون الف وخمسمائة وثلاثة وسبعون قرشا وثمانية عشر فضة وهو مبلغ بالغ الضخامة بالنسبة للعصر الذى انفق فيه، وبالنسبة للميزانية المصرية وقتذاك.

اعتبار أفراح الانجال مناسبة قومية:

جعل الخديوى من حفل زواج أولاده الأربعة مناسبة قومية، فعطلت المدارس واستقبل الأهالى نبأ هذا القران بغبطة شديدة، وعم الفرح مدينة القاهرة باكملها، كما شارك الآلاف من المصريين من كافة الطبقات سواء من كان منهم بالعاصمة أو من ظل فى اقليمه فى هذه الاحتفالات، وسارع بعضهم بعقد قران أولاده فى هذه الأيام احتفالا بهذه المناسبة الخديوية وقد تجلى البذخ خلال هذه المناسبة فى أوضح مظاهره، فزينت شوارع العاصمة بالثريات والفوانيس المختلفة الألوان، ووضع فى نهايتها أقواس نصر فى أشكال متعددة، ونصبت السرادقات الفخمة المزدانة بأفخر الرياش لاستقبال المدعوين الذين قدم لهم صنوف الأطعمة على مختلف أنواعها، كما وزع على الأهالى صحون نحاسية مملوءة بالأرز المطهى بخلاصة رؤوس الضأن والعجول الصغيرة والذى أطلق عليه أرز إسماعيل وقدم لهم الخدم العصائر والحلوى والقهوة، ونثروا عليهم الماء المعطر برائحة الورد.

وإلى جانب ذلك اقيمت سرادقات فى العديد من الميادين، دعى اليها كبار المطربين والمطربات، واشهر العوالم والراقصات كما نصبت تخوت الالاتية التى استمرت تصدح وتشنف الآذان بأعذب الألحان وكان منها تخت عبده افندى الحمولى الذى كان يبعث فى الحضور طربا وانتعاشا، كما نصبت المسارح على بوابه قصر عابدين وسور حديقته، واقيمت المسارح المرتجلة التى جمعت غواة الفن من أنحاء القاهرة والأقاليم لتمثيل المسرحيات المضحكة، فكان البهلوانيون وفرق الحواة والقراقوز وخيال الظل يمدون حبالهم لعرض ألعابهم على الحاضرين، كما كانت الصواريخ تنطلق فى الليل بين تهليل الصبيان وصياحهم. واحتفاء بهذه المناسبة قدم الخديوى دعوة لطلاب المدارس للاشتراك فى تناول الأطعمة والحلوى، وسماع الموسيقى والأغانى، ومشاهدة الصواريخ التى تنطلق من حديقة الأزبكية التى تحولت ساحاتها إلى مولد حقيقى. وخلال ذلك ارسلت الهبات السينة التى وهبها الخديوى لمستحقيها، ووزعت الصدقات على الفقراء والمساكين، كما تنافس الأمراء والذوات والأعيان فى التسابق إلى سرايات الخديوى لتقديم الهدايا الثمينة. وقد بالغ الخديوى فى منحه الأراضى لانجاله وأفراد أسرته والاقارب والاصهار وحتى الخدم والحشم ابتهاجا بهذه المناسبة.

وبينما كانت الاحتفالات فى شوارع العاصمة وميادينها قائمة على قدم وساق كانت هناك احتفالات خاصة فى سراى عابدين دعى إليها الأمراء والوزراء والأعيان وشيخ الأزهر، ورجال السلك الدبلوماسى من الشرقيين والأجانب وعقيلاتهم، وفيها اقيمت الولائم الفاخرة والمراقص الساهرة التى شارك فيها الخديوى بنفسه.

ولم يقتصر الأمر على تجمعات الرجال، بل شغلت قصور الحريم تجمعات النساء وقد شارك فى أحياء هذه الليالى مشاهير المطربين ففى أماكن تجمع الرجال غنى عبده الحمولى ومحمد عثمان والمعلم شاكر أما فى قصر الواله باشا وغيره من القصور التى تجمع فيها النساء فقد غنت الماظ، والأسطى ساكنة، والوردانية، كما قامت امرأة تسمى بهلوانه بالسير فوق الحبل غير ارتفاع كبير وهى تحمل معها شاة صغيرة تقوم بذبحها وإلى جانب ذلك فقد أقيم بالعباسية مهرجان سباق للخيل، ومد فيه على نفقة الخديوى الخاصة مقصف للمدعوين، كما أقيم مرقص فى قصر الجزيرة دعى إليه ما بين أربعة آلاف وخمسة آلاف من الأجانب وأعيان البلاد ووجهائها واضيئت الطرق من عابدين إلى الجزيرة بفوانيس من الورق الملون.

جهاز العرائس:

وقد بلغ شوار العرائس من الفخامة مبلغا تجلت فيه نزعة إسماعيل فى الشغف بالترف والاسراف والبذخ فكان جهاز كل عروس منسقا فى ثلاث غرف فسيحة بالقصر العالى للعرض على الأنظار وهو يتكون من أنواع لحلى المختلفة الأشكال، المرصعة بالجواهر والماس، هذا عدا الأوانى الذهبية والفضية والمرايا وفناجين القهوة بزخرفتها الذهبية المحلاة بالجوهر، وفصوص الماس والياقوت.

وكان كل جهاز من الجهازات الأربعة يطاف به فى أنحاء المدينة محملا على عربات تحت حراسة الجند الراكب تتقدمها فرقة موسيقية لارسالها إلى سراى العروس، وكانت الشوارع التى يمر بها تزدحم بجماهير الناس، وكذلك كانت شرفات المنازل والفنادق تغص بالمتفرجين الذين يهللون ويكبرون ويدعون للخديوى وانجاله بدوام العز والبقاء.

ولقد افاض مؤرخو عصر إسماعيل امثال الياس الأيوبى، وأمين سامى فى الحديث عن شوار العرائس وخط سيره فذكر صاحب تقويم النيل أن أول من خرج من شوار العرائس كان شوار الأميرة أمينة هانم زوجة الأمير محمد توفيق حيث انتقل إلى قصر القبة حيث يقيم العريس فسارت زفة الشوار عبر شوارع القاهرة فى موكب عسكرى تتقدمه جوقة موسيقية، وكان يتبع هؤلاء عربات المدعوين، وكانت العروس تركب عجلة التشريفة الكبرى يجرها ثمانية من الخيول البيضاء وكانت الهدايا موضوعة فى أسبته مكشوفة فوق عربات مكسوة بالقصب على مخدات من القطيفة المزركشة بالذهب والماس، يغطيها شاش فاخر يمسك بأطرافه أربعة جنود فى كل عربة، ويتبعهم ضباط بملابسهم الرسمية، والسيوف مشهرة فى أيديهم، وكان من بين الهدايا هدية الخديوى إسماعيل لابنه توفيق وهى عبارة عن سرير من الفضة الصب الخالصة شبيه بالذى اهداه إلى الامبراطوره الفرنسية أوجينى زوجة نابليون الثالث أثناء اقامتها بمصر وكان محلى بماء الذهب، وعواميده الضخمة مرصعة بالماس والياقوت الأحمر النادر، والزمرد والفيروز.

وقد تبع هذا الموكب مواكب مشابهة تحمل شوار الاميرات عين الحياة، وخديجة، وفاطمة، والهدايا المهداة إليهن والسؤال الذى يطرح نفسه هو هل تم شراء جهاز الاميرات السابق ذكرهن من خارج البلاد ام من داخل مصر؟

الواقع أن الخديوى إسماعيل كان يفضل الشراء من المتاجر المصرية بدلا من الأجنبية، فعلى الرغم من رسو العطاء على محل "باسكال" الفرنسى فقد رأى إسماعيل ان يتم الشراء من المحلات المصرية بقوله إذا كانت المحلات والمتاجر المصرية لا تنتفع من أفراح اولادى فمن أفراح من تستفيد.

وعلى أى حال فقد تبارى الشعراء والكتاب فى تأليف المنظومات والأدوار الغنائية المختلفة، فألف رفاعة الطهطاوى رسالة أدبية سماها "الكواكب النيرة فى ليالى أفراح العزيز المقمرة " وصف فيها تلك الأفراح التى لم تعرف مصر قبلها أو بعدها مثيلا وقد بدأ رفاعة هذه الرسالة بمقدمة مدح فيها الخديو إسماعيل واثنى على طريقته فى تزويجه أولاده من بنات أعمامهم، ثم اخذ يثنى على كل أمير وزوجته خاتما ثناءه عليهما بابيات تؤرخ هذا الزواج، فلكل زوج تهنئه باسمه، ولكل زوجه تهنئه أخرى باسمها كذلك.

كما وضع إسماعيل صبرى باشا، ومحمود سامى البارودى، والشيخ على الليثى، والشيخ عثمان الجندى، والشيخ محمد الدرويش وضعوا طائفة من أبدع الأغانى، كما تبارى رجال

الموسيقى فى وضع المقطوعات الخاصة بهذه المناسبة، وكان فى مقدمة هؤلاء الموسيقيين وقتذاك محمد ذاكر بك الذى وضع مارش أفراح الانجال، ومارش أفراح القبة، ومارش الهوانم.

وكان من أشهر المطربين الذين اشتركوا فى أحياء حفلات هذه الأفراح الشيخ محمد عبد الرحيم المشهور باسم المسلوب والشيخ محمد الشلشمونى، ومحمد عثمان، واحمد صابر وعبده الحامولى، واحمد صابر، ويوسف المنيلاوى، وعبد الحى حلمى، ومن أشهر العازفين محمد العقاد، ومحمد ابراهيم، وعبد الحميد القضابى،ومن المطربات الماظ والوردانية ونزهة.

وهكذا كانت أفراح انجال الباشا بمثابة بانوراما فنية سهرت فيها القاهرة اربعين ليلة شبيهة بليالى الف ليلة وليلة التى أضحت أمامهم حقيقة لاخيال ، خيل للناس خلالها أن هذه الأفراح هى أفراح الأمة بأسرها، فقد غنى الناس وزمروا وطبلوا فى هذه الأفراح الذين استهواهم صخبها وضجيجها، دون أن يدرك معظمهم ان ما ينفق فيها من أموال، وما يظهر من بذخ كان نتاج عرقهم وجهدهم وان ما حدث من سفه وابتذال بغير حساب هو من أموالهم وأقواتهم وانه سيكون فى النهاية خطرا على مسار الدولة الاقتصادى الذى يمكن أن يساعد على أفلاسها. وحتى لو عرف بعض هؤلاء المصير المنتظر ماذا كان بيدهم ان يفعلوه مع حاكم شرقى لا يسأل عما يفعل فقد حدث مثل ذلك من قبل أثناء احتفالات افتتاح قناة السويس ١٨٦٩ بل وأكثر منه حيث كان الخديو ينثر أموال الخزانة المصرية ذات اليمين وذات اليسار، ولم يستطع أحد ان يهمس ببنت شفه .

وهكذا كانت حياة الشعب المصرى يكتنفها البؤس والحرمان مقابل النعمة والثراء والترف التى يعيشها هؤلاء الذين جعلوا من حفلات زواج انجالهم ومراسيمه معرضا للحفلات الاسطورية، ومصدرا للتفاخر والابهة مما أدى إلى استنزاف اموال الدولة بلا طائل سوى مظاهر خادعة ساعدت على تعرض أبناء مصر للفاقة والحرمان. وإذا كان ترف خمارويه وتبذيره خلال زواج ابنته قطرالندى وتجهيزها ومراسيم انتقالها إلى بغداد قد أدى ببيت مال مصر إلى الافلاس فان الحفلات التى تمت خلال أفراح انجال إسماعيل باشا، والأموال التى صرفت من خلالها لاشك أنها اثرت على الخزانة المصرية التى كان مفتاحها فى جيب الباشا الخاص. ومع كل ذلك فان هذه الأفراح قد بلغت من الشهرة ما جعلها تتناقل على ألسنة الناس جيلا بعد جيل حقيقة لقد كان عصر إسماعيل عصر المتناقضات فقد جمع بين القوة والضعف، والنور والظلمة، والازدهار والانهيار، والهناء والشقاء، والخصب والجدب، والعز والمذلة، والعدالة والظلم، ولكنه فى النهاية كان العصر الذى فتح أبواب مصر على مصراعيها امام طوفان رأس المال الأجنبى الذى تسبب فى نهاية الأمور إلى سيطرة الاجانب على شئون البلاد.

وانتهى أمر هذه الأفراح، ولم تبق من ذكراها إلا لافتة صغيرة زرقاء الصقت على احد جدران البيوت فى حى المنيرة، وكتب عليها شارع أفراح الانجال.

المصادر والمراجع التى تم الاستعانة بها فى هذه الدراسة:

- وثائق ديوان المالية الخاصة بلوازم المهرجان السامى، ومحفظة رقم ١٤٩ ابحاث تحت عنوان "ملف البراءات الواردة للديوان قبل نوفمبر ١٩١٤" (دار الوثائق القومية).
- مذكرات عباس حلمى الثانى (عهدى).
- احمد شفيق: مذكراتى فى نصف قرن ، جـ١.
- الياس الأيوبى: تاريخ مصر فى عهد الخديو إسماعيل، جـ٢.
- امين سامى: تقويم النيل وعصر إسماعيل باشا.
- ستانلى لين بول: حريم محمد على باشا.
- عبد الرحمن زكى: القاهرة.
- محمود الحفنى: ثلاثة أعراس أودت بالخزانة إلى الافلاس.
- السياسة الاسبوعية السنة الثانية العدد ٦٤.
- مصر المحروسة، جـ١، اكتوبر ٢٠٠٠.

لافتة شارع «أفراح الأنجال»

١٢ حكاية ريا وسكينة من أبرز القضايا النسائية فى تاريخ مصر الحديث(*)

شغلت هذه القضية الرأى العام المصرى كثيرا، وعبر المصريون عن فجيعتهم فى بشاعتها خاصة وانها تجاوزت كل حدود الاعراف والطبائع البشرية وشكلت مشاهدها بواعث الرعب والهلع والفزع فى نفوس كل من عرف بها أو سمع عنها لما مثلته من همجية وبربرية وبلادة حس ووحشية لا حدود لها الأمر الذى جعل وقائعها مادة خصبة لكثير من الأعمال الدرامية سواء فى السينما أو المسرح او التلفزيون.

لقد وقعت هذه الجريمة فى حى اللبان أفقر أحياء الاسكندرية وبلغ عدد المتهمين فيها عشرة أشهرهم ريا وأختها سكينة، وقتل فيها سبعة عشر أمرأة فى الفترة ما بين نوفمبر ١٩١٩ ونوفمبر ١٩٢٠، دفنت جثثهن فى ثلاثة منازل فى أحياء الاسكندرية القديمة منها منزل اللبان الذى يقع بالقرب من قسم شرطة اللبان.

لقد كشفت لنا وقائع هذه الجريمة صورة الاسكندرية فى أعقاب الحرب العالمية الأولى، كما كشفت لنا احوال مصر فى حقبة تاريخية هامة فى حياتها، فقد استغلت عصابة "ريا وسكينة" ظروف انشغال الجهات الأمنية بظروف البلاد السياسية، وباشتعال حركة المقاومة ضد الاحتلال، وانشغال الزعامات الوطنية فى المطالبة بالاستقلال وتنفيذ مبادئ الرئيس الامريكى "ولسن" الاربعة عشر التى تدعو إلى تقرير مصير الشعوب استغلت كل ذلك وقامت بجرائمها التى تعد من أفظع الجرائم التى سمع بها الانسان المصرى، لدرجة أن الأهالى الذين ذهبوا إلى المحكمة لمشاهدة محاكمة المتهمين أرادوا تمزيق الجناة إربا قبل تنفيذ أحكام القضاء فيهم، وفيما يلى نعرض لمسلسل الأحداث .

تبدأ أحداث هذه الجريمة بنزوح ريا وسكينة من أعالى الصعيد إلى بنى سويف ثم إلى كفر الزيات ، هربا من فضيحة لحقت بريا وخشية من قيام أهلها بقتلها، وقد مارست ريا أعمال بنات الهوى فى كفر الزيات أما "سكينة" فكانت فتاة صغيرة، ولما اشتد عودها دخلت فى منازل المومسات وبعد ذلك احبها شخص يسمى "عبد العال" كما تزوجت "ريا" بشخص يسمى "حسب الله" كان يعمل فى مصنع للقطن ويشتغل بالجرائم والسرقات.

سافرت "سكينة" إلى الاسكندرية وبعد ان استقرت بها لحقتها "ريا" وزوجها حيث استقروا بسكن هناك بجهة "الازاريتا" وهناك اتفقت الأختان على فتح بيوت للهو والفحشاء ونفذوا هذا العزم ففتحوا جملة بيوت للدعارة منها بيت بسوق العصر سموه الكامب لأنه كان يوجد معسكر لقوات الاحتلال بالقرب منه، وبيتا بجهة جامع الفحام، وبيتا فى جهة جامع أخواص، وبيتا فى جهة العيونى، وبيتا فى شارع على بك الكبير، وبيتا فى مكوبس وراء مخبز اللبان وأنهم تعرفوا خلال ذلك على عرابى حسان احد الفتوات ليقوم بالتصدى لكل من يقف فى سبيلهم، كما تعرفوا على العربجى "عبد الرازق" وغيره ممن ثبت اسمائهم فى التحقيقات.

وقد راودت هؤلاء فكرة استدراج النساء المتحليات بالذهب والمعادن الثمنية وقتلهن والاستيلاء على مصوغاتهن وما معهم من نقود.

تلقى البلاغات:

وفى غضون الفترة من بدايات يناير إلى ١٤ نوفمبر ١٩٢٠ ورد إلى بوليس قسم اللبان عشرة بلاغات عن اختفاء عشر نسوة من دائرة القسم المذكور، فتقدمت زينب حسن ببلاغ عن اختفاء ابنتها "نظلة ابو الليل" البالغة من العمر ٢٥ عاما، وكان هذا هو البلاغ الأول الذى بدأت معه ملامح مذبحة النساء تدخل إلى أروقة بوليس الاسكندرية. قالت صاحبة البلاغ أن ابنتها "نظلة" اختفت من عشرة أيام، وانها كانت تتزين بغوايش ذهب فى يدها وخلخال

(*) نشرت بمجلة الشرطة فى عدد يوليو ٢٠٠٦

فضة وخاتم وحلق ذهب وانتهى بلاغ الأم بأنها تخشى أن تكون ابنتها قد قتلت بفعل فاعل لسرقة الذهب الذى تتحلى به. وفى ١٦ مارس من نفس العام كان البلاغ الثانى الذى تلقاه رئيس نيابة "الاسكندرية" عن اختفاء "زنوبة" التى خرجت لشراء لوازم البيت ولم تعد إليه ! وقبل أن تتجه شكوك أجهزة الأمن نحو أحد، تلقت النيابة بلاغا من فتاة عن اختفاء أمها "زنوبة عليوة" بائعة الفراخ. وقد حددت صاحبة البلاغ اسم "سكينة" باعتبارها آخر من تقابل مع أمها. وفى نفس الوقت تتلقى أجهزة الأمن بالاسكندرية بلاغا من شخص يعمل جناينى بمنطقة القبارى يؤكد فيه أن زوجته "نبويه" اختفت من عشرين يوما، كما تلقى بلاغا من نجار يذكر فيه اختفاء زوجته "فاطمة" التى تعمل شيخة مخدمين، وانها كانت تتزين بالذهب ومعها مبلغ من المال، ثم كان بلاغ من اختفاء فتاة اسمها "قنوع" عمرها ١٣ عاما وبلاغ آخر من خواجة يدعى "وديع جرجس" يذكر فيه ان خادمته "لولو" خرجت لشراء أشياء من السوق ولم تعد. وتوالت البلاغات فجاء بلاغ عن اختفاء "سليمة" بائعة الكيروسين التى تسكن بمفردها فى حارة اللبان ثم بلاغ آخر من سيدة سودانية تذكر أن ابنتها "فرودس" اختفت فجأة وكانت تتزين بمصاغ ثمنه ٦٠ جنيها وزوج أساور ثمنه ٣٥ جنيها وحلق قشرة، وقلب ذهب معلق بسلسلة ذهب وخاتمين حريمى.

وهكذا عاشت الاسكندرية فى جو من الفزع والرعب، فالبلاغات لم تتوقف والخوف يسيطر على كل البيوت، وحكاية عصابة خطف النساء انتشرت على كل لسان. وبدات النيابة تحقق والشرطة تبحث وتتبع رحلة اختفاء هؤلاء النسوة، ولكن التحريات والتحقيقات لم تصل فى النهاية إلى اجابات محددة عن من هم الجناة حتى تتدخل عدالة السماء، وتحكم قبضتها وتكشف عن الجريمة اللغز.

بداية اكتشاف الجريمة:

فى صباح ١١ ديسمبر ١٩٢٠ تلقت الشرطة اشارة من عسكرى الدورية بشارع أبى الدرداء بانه عند قيام أحد الأهالى بالحفر فى بئر الصرف الصحى بمنزله عثر على جثة امراة وبجوار الجثة عثر على طرحة من الشاش الأسود وفردة شراب سوداء مقلمة بأبيض، وأمام هذا البلاغ تحمس ملازم شاب بقسم اللبان واسرع إلى مكان الحادث حيث امر باستمرار الحفر ليكتشف فى النهاية أن "سكينة" هى التى كانت قد استأجرت الحجرة التى عثر فيها على الجثة وخلال ذلك لاحظ أحد المخبرين السريين المنتشرين فى كل أنحاء الاسكندرية بحثا عن مزيد من الأخبار انبعاث رائحة بخور مكثفة من غرفة "ريا" الكائنة بشارع على بك الكبير، واكد المخبر ان دخان البخور كان ينطلق من الحجرة بشكل مريب مما أثار شكوكه فقرر أن يدخل الحجرة التى يعلم تمام العلم أن صاحبتها هى "ريا" أختت "سكينة" مما أصاب "ريا" بارتباك شديد خاصة بعد أن سألها المخبر عن سر اشعال هذه الكمية الكبيرة من البخور فى حجرتها. ونتيجة لذلك أسرع المخبر "احمد البرقى" إلى "اليوزباشى" ابراهيم حمدى "نائب مأمور قسم اللبان ليبلغه عن شكوكه فيما رأى. وعلى الفور انتقلت قوة من رجال الشرطة إلى غرفة "ريا" ليجدوا انفسهم أمام مفاجأة كبيرة لقد شاهد الضابط رئيس القوة ان البلاط الموجود فوق أرضية الحجرة حديث التركيب خاصة فى جزء منها، ولما أمر بنزع هذا البلاط تصاعدت رائحة عفنة بشكل يصعب احتماله، كما ظهرت جثة امرأة عارية مما أصاب "ريا" بالهلع وازداد ارتباكها، وتوالى اخراج الجثث مما جعل "ريا" غير قادرة على الإنكار.

الاعترافات:

وهنا تضطر "ريا" إلى الاعتراف كما بدأت التحقيقات تكشف كيف كانت ريا تصطاد فرائسها؟ لقد اتضح من التحقيقات ان "ريا" كانت تذهب إلى سوق الخيط أحيانا، وتدنوا من المرأة التى تراها متحلية بالذهب، وتحادثها فى أمر أن عندها بضائع مسروقة من الجمرك وتباع باثمان رخيصة وتشجعها على مشاهدة تلك البضائع بمنزلها وبعد أن يتم استدراجها تعد العدة لقتلها حيث يقوم محمد عبد العال وحسب الله زوجى ريا وسكينة واثنين آخرين معهما

غالبا بخنق الضحية او بكتم انفاسها وسلب ما معها من مجوهرات ثم دفنها فى مكان الجريمة سواء كانت فى منزل "ريا" أو "سكينة".

وحيث أنه باستجواب "سكينة" امام النيابة قررت انها اشتركت بالاتفاق مع أختها "ريا" فى قتل عشرة نسوة من اللائى وجدت جثثهن بالمنازل المذكورة وبأن مطلقها "محمد عبد العال" و"حسب الله" زوج "ريا" وعبد الرازق وعرابى صاحبهم شاركوهم فى ذلك كما قتلوا اخريات وقررت بأن المجنى عليهن كانت تجئ، بدعوة منها أو أختها "ريا" إلى تلك المنازل للالتقاء بالرجال حيث يكون هؤلاء المتهمون فى انتظارهن مستعدين باتفاقهم معها ومع اختها "ريا" على قتل تلك النسوة وسرقة ما يكون عليهن من مصوغات. ولأجل تسهيل قتلهن بواسطة من ذكروا من المتهمين كانت تقدم إليهن الخمور القوية المفعول لاسكارهن سكرا شديدا لا يستطعن معه محاولة أى مقاومة او استغاثة فكان أولئك المتهمون ينتهزون هذه الفرصة لاغتيالهن بواسطة كتم النفس والخنق، وقررت أيضا بأن احدهم كان يخنق كل أمرأة منهن بمنديل يشده حول عنقها أو بيديه بينما كان الآخرون ممسكين بيدها ورجليها وصدرها أو فمها لمنعها من إبداء أى حركة إلى أن تزهق روحها ثم يدفنون جثتهم بعد تجريدهن من مصوغاتهن وما يجدونه معهن من النقود، وكانت المصوغات تباع بعد ارتكاب الجرائم بمعرفة "سكينة" إلى أحد الصاغة، وتوزع أثمانها بينهم وحيث ان "ريا" اعترفت فى اقوالها امامه النيابة باشتراكها هى وسكينة كما اعترف باقى المتهمين بجرائمهم فقد حكمت المحكمة حضوريا باعدام كل من "ريا" و "سكينة" وحسب الله ، و"محمد عبد العال" و"عرابى" و"عبد الرازق" بعقوبة الاعدام وحكم على الصائغ الذى كان يشترى الذهب من "ريا وسكينة" بالسجن مع الشغل لمدة خمس سنوات وبراءة باقى المتهمين.

هذا ما حكمت به المحكمة بجلستها العلنية المنعقدة بسراى محكمة الاسكندرية الأهلية فى يوم الاثنين ١٦ مايو ١٩٢١.

وعندما صدرت هذه الأحكام صرخت "سكينة" فى رئيس المحكمة بقولها "أنا ولية لكن جدعة وحاتشنق محل الجدعان" وقتلت ١٧ واستغفلت بوليس اللبان وغافلت الحكومة ثم نطقت بالشهادة، أما "ريا" فكانت منهارة وكان آخر طلب لها قبل الاعدام ان ترى ابنتها "بديعة" اما "حسب الله" زوج "ريا" فقد قال قبل اعدامه انه قتل ١٥ فقط وليس ١٧.

وفى ٢١ و ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢١ تم تنفيذ حكم الاعدام داخل سجن الاسكندرية، وبذلك طويت صفحة هذه القضية بتكتيكها الاجرامى بقتل ودفن القتلى فى أرضية السكن بشكل احتار الخبراء فى تفسيره، وان ظلت حية فى نفوس أهل الفن وكتاب الدراما وقصص التاريخ.

ريا وسكينة أشهر الجرائم فى سجل الأمن المصرى